المَبْحَثُ الخَامِسُ

تأثُّر بعض النصارى بالإسلام

بعد أن رفع الله عيسى ابن مريم إليه وكفَّ عنه بني إسرائيل من أن يقتلوه أو يصلبوه، خلفه في دعوته تلاميذه الَّذين تفرَّقوا في كثير من بقاع العالم، وصحب ذلك تعدُّد البشائر الَّتي أُطلق عليها بعد ذلك أسم الأناجيل، ولَّما كان كلُّ بشير قد ألَّف إنجيله من ذاكرته فإن تبايناً كبيراً واختلافات كثيرة وقعت بين الأناجيل، وتسبب ذلك في جعل النصارى يصبحون فرقا وأحزاباً وصل الخلاف بينهم إلى أن يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً.

أمَّا عن الإنجيل الأصلي الَّذي أنزله الله على عبده ونبيِّه عيسى ابن مريم عليه السلام فلا أثر له بين النَّصارى منذ رفع عيسى عليه السلام ما حَمَلَ أكثر حوارييه على الاجتهاد في تذكُّره والتطاول عليه زوراً بتحريفٍ أو تبديلٍ، وذلك أدَّى إلى مسخ النَّصرانية الحقَّة، وطمس معالمها.

وبعد ستَّة قرون من مولد المسيح عليه السلام، أشرق الإسْلام بنوره على الأرض، وقفَّى محمد ﷺ عيسى ابن مريم نبيًّا ورسولًا، لا إلى بني إسرائيل ولا إلى العرب خاصة، بل إلى كلِّ النَّاس في جميع بقاع الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وأنزل الله معه القرآن الَّذي وصفه تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٩] معجزة خالدة على مرِّ العصور، تحدى الله بها فصحاء العرب حينذاك وبعدئذ. بل تحدَّى الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثله. ولقد دعا خاتم الأنبياء ﷺ إلى توحيد الله في العبادة بأنواعها، وفي أسمائه وصفاته أوَّل ما دعا. فكان من الطَّبيعي أن يتولَّى عليه الصلاة والسلام دعوة وإرشاد كل من خالف مبدأ التَّوحيد، وقال بتعدُّد الآلهة أو اعتقد وجود وسطاء بين الله وخلقه لا يشفعون لهم بزعمهم عند الله حتَّى يعبدوهم، ويقدِّموا لهم فروض الولاء والطَّاعة العمياء. فكلُّ هذه وغيرها معتقدات فاسدةٌ حاربها الأسلام كما حاربتها الأديان من قبله بلا هوادةٍ على لسانِ أنبيائهم عليهم السلام.

وقد التقى الرسـول ﷺ وفوداً من المشركين في مكة وفي المدينة من العرب والعجم، يدعوهم إلى الإسلام بعد أن يبيِّن لهم محاسنه وعاقبة المؤمنين. فإن هم أبوا فرض عليهم الجزية إن كانوا من أهل الكتاب، فإن هم أبوا قاتلهم.

مـن تلك الوفود وفد من النَّصـارى، كالوفد الَّذي قدم من الحبشة يضمُّ سبعين قسيسـاً بعثهم النَّجاشي ملكها ليستطلعوا له حقيقة الإسلام الَّذي أشـرق نوره في جزيرة العرب. التقاهم الرَّسول ﷺ وتلا عليهم من القرآن الكريم سورة ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ حتَّى ختمها، فجعلوا يبكون، وأعلنوا إسلامهم، فأنزل الله في شـأنهم قرآناً يتلى إلى اليـوم: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٣-٥٥].

قال محمَّد بن إسحاق بعد أن ذكر مجيء وفد النَّجاشي إلى رسـول الله ﷺ قال: «**فلما قاموا من مجلس الرسول اعترضهم أبو جهل ابن هشـام في نفرٍ من قريشٍ، فقال لهـم: خيَّبكم الله من ركبٍ بعثكم أهـل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسـكم حتى**

فارقتم دينكم وصدقتموه. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسنا خيراً»(١).

فهؤلاء قد أُشربوا الإيمان في قلوبهم، وعرفوا الحقَّ مَّما سمعوه من القرآن الَّذي خالط معناه بشاشة قلوبهم.

وقبل ذلك كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة بعد أن لاقى المسلمون من مشركي مكة ما لاقوا من عنتٍ ومشَّقةٍ، هاجروا إلى الحبشة بعد أن أذن لهم الرَّسول ﷺ بذلك مُؤَكِّداً لهم وجود ملك لا يُظلم عنده أحدٌ - ويعني به النَّجاشي ملك الحبشة من قِبَل الرُّومان- حتَّى يجعل الله لهم فرجاً ممَّا هم فيه. وخرجوا إلى أرض الحبشة عن طريق البحر الأحمر في سفينةٍ آجَرُوها، وذلك سنة خمسٍ من النُّبوة المباركة، فكانت هجرتهم أوَّل هجرةٍ في الإسلام.

مكث المسلمون في الحبشة ما يزيد على ثلاثة أشهرٍ، نزلت في خلالها على الرَّسول ﷺ آياتٌ من سورة النَّجم، فقرأها وكان يسمعه بعض المشركين، فسجد وسجد المسلمون معه وسجد المشركون. وشاع خبرٌ أنَّ المشركين قد صافوا

---

(١) راجع سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السَّقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

محمـــداً. فبلغ ذلك من في الحبشـــة من المســـلمين، وبلغهم أن مهادنـــة بين الطَّرفين قد تَمَّتْ، فـــرأوا الرُّجوع إلى مكَّة، وقد بلغوها فعـــلًا، فوجدوا أن الوضع القائم فيها غير ما بلغهم، فعاد بعضهم إلى الحبشة مرة أخرى، ودخل من دخل منهم في جوار أحد المشركين.

واشتدَّ أذى قريشٍ للمسلمين، فقرَّروا الهجرة مرَّة ثانيةً إلى الحبشة بمشـــورة من الرَّســـول ﷺ فهاجر في هذه المرة خلق كثير يزيد على الثمانين بين نســـاء ورجـــال من بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم الرســـول، فلما رأت قريش أن المســـلمين في الحبشة قد أمنوا واطمأنُّوا بها، وعبدوا الله لايؤذيهم أحدٌ، قرَّروا إرسال وفد عنهم إلى النجاشي يحاوره في استرجاع من عنده من المسلمين، فاختاروا لذلك عمرو بن العاص، وعمارة ابـــن الوليد بن المغيرة، وزودوهما بهدايا من الأدم للنجاشـــي وبطارقته. فعندما بلغا الحبشـــة التقيا النجاشي، فأفهماه بأنهما موفدان من أهل، وذوي المســـلمين الذين عنـــده في محاولة لاســـترجاعهم إلى وطنهم؛ لأنهم ســـفهاء لا يدركون معنى ما قدموا عليه. فامتنع النجاشـــي عن تســـليمهما ما أرادا قبل أن يتحدث إلى المسلمين، ويسمع حجتهم.

فبعث النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن دينهم الذي فارقوا فيه قومهم، ولم يدخلوا في دينه، ولا في دين أحد من هذه الملل؟.

فتولى الكلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أيُّها الملك، كنَّا قوماً أهل جاهلية، نعبدالأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجِوار، ويأكل القوي منَّا الضَّعيف، فكنَّا على ذلك حتَّى بعث الله إلينا رسولًا نعرفه ونعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده ونخلع ما كنَّا نعبدنحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبدالله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصَّلاة والزَّكاة فصدَّقناه وآمنَّا به واتَّبعناه على ما جاء به من الله، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ الله لنا. فعدا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردُّونا إلى عبادة غير الله وأن نستحلَّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيُّها الملك.

فطلب منه النَّجاشي أن يقرأ عليه شيئاً ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ فقرأ عليه جعفر صدر سـورة مريم. فبكى النَّجاشي، حتى ابتلت لحيته، وبكى أساقفته. فقال النجاشي: إنَّ هذا والَّذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدةٍ، فرفض أن يسلِّمهم إلى الموفَدين.

غير أنَّ عمـرو بن العاص أعـاد الكرَّة مرَّة أخـرى في اليوم المقبل، وأراد أن يوقع بين النَّجاشي والمسلمين، فأظهر للنَّجاشي أنَّ المسلمين يقولون في عيسى قولاً عظيماً: إنَّهم يقولون: إنَّه عبدٌ.

فسأل النجاشي جعفراً، فقال:

نقول فيه كما قال رسـولنا هو عبدالله ورسـوله وكلمته ألقاها إلى مريم العـذراء البتول وروحٌ منه. فضرب النَّجاشـي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثَّم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

فرفض أن يسـلِّمهم وأخبرهم بأنَّهم آمنون في بلاده. فعاد الوفد إلى قريشٍ خائباً.

وبعد يوم بدرٍ وهلاك كثيرٍ من وجوه المشركين فيه قرَّر الباقون أن ينتقموا من المسلمين بمن في الحبشة من المهاجرين يقتلونهم.

فأرسـلوا عمرو بن العـاص وعبدالله بن أبـي ربيعة إلى النَّجاشي، وأرسـلوا معهما هدايا وتحفًا. فلمَّا بلغ ذلك رسول

الله ﷺ بعث عمرو بن أميَّة الضمري إلى النَّجاشي بكتابٍ يوصيه فيه على المسلمين.

أمَّا عمرو بن العاص فقد طلب من النَّجاشي أن يسلِّمه عمرو بن أميَّة ليقتله، فغضب لذلك النَّجاشي، قائلاً له: (تسألني أن أعطيك رسول رجلٍ يأتيه النَّاموس الأكبر الَّذي كان يأتي موسى والَّذي كان يأتي عيسى ابن مريم لتقتله؟.

فسأله عمرو بن العاص إن كان يشهد أن محمَّداً رسول الله؟ فقال النَّجاشي: نعم، أشهد بذلك عند الله، فأطعني يا عمرو، واتَّبعه، فو الله إنَّه لعلى الحقِّ.

فقال عمرو بن العاص للنَّجاشي: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فمدَّ يده، فبايعته على الإسلام[(١)].

وفي شهر ربيع سنة سبعٍ من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النَّجاشي يدعوه إلى الإسلام. وكتب إليه أن يزوِّجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة مع زوجها عبدالله بن جحش، فتنصَّر هناك ومات نصرانيّاً.

---

(١) راجع السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت،ج،ص ٢٠٠.

وكتـــب إليه أيضاً أن يبعث من بقي مـــن أصحابه. فلمَّا قرأ الكتاب أسلم، وقال: لو قدرت أن آتيه لأتيته. وزوَّجه أمَّ حبيبة، وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وجعل بقية أصحابه في سفينتين، فقدموا على رسول الله ﷺ بخيبر، وقد فتحها [1].

وقد كتم النَّجاشي إســلامه عن قومه مدَّة حياته، ولولا ما ورد مـــن أحاديث في الصَّحيحين وغيرهما تثبت إســلامه لما اشتهر ذلك عنه.

روي في الصَّحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ نعى النَّجاشي في اليوم الَّذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلَّى وصفَّ بهم، وكبَّر أربع تكبيراتٍ[2].

وروى البخاري عن جابرٍ قال: قال رســول الله ﷺ، حين مات النَّجاشي: (مات اليوم رجلٌ صالحٌ، فقوموا، فصلُّوا على أخيكم أصحمة)[3].

(١) راجع مختصر ســيرة الرسول ﷺ للشــيخ محمَّد بن عبدالوهاب. تحقيق محمَّد حامد الفقي، سنة ١٣٧٥ هـ، مطبعة السنة المحمَّدية - القاهرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعاً (ح/ ١٣٣٣). ومسلم في كتاب الجنائز باب في التكبير على الجنازة (ح/ ٢٢٠١)كلاهما عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب موت النجاشي.

الوفود من النَّصارى:

قال ابن إسـحاق (لما فتح رسـول الله ﷺ مكَّة، وفرغ من تبوك، وأسـلمت ثقيف وبايعت. ضربت إليه وفود العرب من كلِّ وجهٍ)(١)

وتُعْرف السَّـنة التَّاسـعة من البعثة النَّبوية بين كتَّاب السَّير بسـنة الوفود؛ لكثرة ما وفد على الرسـول ﷺ في المدينة من الوفود فيها. وسـأتعرَّض لذكر وفود النَّصارى دون غيرهم إن شاء الله.

أول تلك الوفـود: وفد نصارى نجـران، دخلوا عليه ﷺ في مسـجده في المدينة بعد العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلُّون فيه، فأراد النَّاس منعهم فقال الرسـول ﷺ: (دعوهم). فاستقبلوا المشـرق فصلُّوا صلاتهم. وكانوا ستِّين راكباً، منهم أربعةٌ وعشرون رجلاً من أشرافهم.

من هؤلاء ثلاثة نفـرٍ يؤول إليهم أمرهـم: (العاقب) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه: عبدالمسيح.

---

(١) راجع سـيرة ابن هشـام ج٤، ص٢٠٥، ومجموعـة الوثائق السياسـية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص١٣٨) ط٣، ١٣٨٩هـ، دار الإرشاد، بيروت.

والسَّيد صاحب رَحلِهم ومجُتمعهم واسمه: (الأيهم) و(أبو حارثة بن علقمــة) أخو بكر بن وائل، قد شــرُف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الرُّوم من أهل النَّصرانية قد شرَّفوه وموَّلوه، وكان يعرف أمر الَّنبي ﷺ وشأنه ممَّا علِمه من الكتب المتقدِّمة.

فدعاهــم النَّبــي ﷺ إلى الإســلام، وتلا عليهــم القرآن، فامتنعوا، فقال ﷺ: «**إن أنكرتم ما أقول فهلمَّ أباهلكم**».

وفــي البخاري من حديــث حذيفة بن اليمان جاء السَّــيد والعاقب صاحبا نجران إلى رســول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه يعني: يباهلاه. فقال أحدهم لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيّاً فلاعنّاه - يعنــي باهلناه - لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا أبداً. ثَّم قالا: إنَّا نعطيك ما ســألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أمينا. فقال: (لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين) فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ. فقال: «**قم يا أبا عبيدة ابن الجرَّاح**» فلمَّا قام قال الرَّسول: «**هذا أمين هذه الأمة**»[1].

وفي رواية البيهقي أنَّه ﷺ كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام: «**فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحربٍ**».

(١) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب قصة أهل نجران.

وفي رواية يونس بن بكير أَنَّه صالحهم على ألفي حُلَّة. ألف حُلَّة في رجب وألف حُلَّة في صفر ومع كل حُلَّة أوقية من الفضَّة.

وذكر ابن سعد أن السَّيد والعاقب رجعا بعد ذلك، وأسلما(١).

المباهلة(٢):

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٤].

---

(١) راجع المواهب اللَّدنية، ط٢دار المعرفة، بيروت لبنان ج٤، ص٤١، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٨٥) ط١٤٠٥،١هـ، تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت. وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٧) وفد نجران.

(٢) قال في اللسان، مادة (بهل) المباهلة: الملاعنة، يقال باهلت فلاناً لاعنته، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم اذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظَّالم منَّا.